النهار
السبت ٢٣ كانون الأول ٢٠٠٠

"تعرّف إلى وعيك" إدراك الحقيقة غير المحسوسة

اصدار

كيف يمكن أن نفهم الوعي؟ وكيف يمكن أن نتوغل في ابعاده وهو صفة انسانية متعارف عليها لكنها لا محسوسة، غير منظورة وصعبة التعريف. لا يبدو أن ثمة مقياسا للوعي، لانه لا يخضع لقاعدة فكرية او اجتماعية ثابتة ومحددة، فكل انسان يعرّف الوعي انطلاقا من مستواه الفكري، والقاسم المشترك بين مختلف تلك المستويات "السعي نحو الوعي المطلق... وهذا ما يوحّد الوعي على المستوى البشري" كما يوضح كتاب الايزوتيريك "تعرّف الى وعيك".

الايزوتيريك، كما بتنا نعرفه، هو علم الوعي بامتياز، وقدّم الى الان مادته في تسعة وعشرين كتابا متنوعة الموضوعات. ويبدو ان هذا الكتاب الاخير يتفلغل اكثر من سواه في ماهية الوعي الانساني وكنهه، ملقيا الضوء على تكوين النفس البشرية والذات الانسانية منذ بداية وجودهما وصولا الى انسان اليوم، انطلاقا من الحقيقة الازلية "في البدء كان الكلمة... والكلمة كانت الانسان... اما معناها فكان الوعي!". بهذه البلاغة الدامغة ينطلق الكتاب في ماهية الوعي.

يوضح الكتاب في دقة متناهية علاقة الوعي بالانسان: "لم يكن الانسان ليوجد اصلا لولا وجود الوعي فيه. لان الوجود الانساني كتلة وعي او تجسيد وعي... فهو في مطلقه، وعي الروح وقد اكتسى المادة!. وهكذا، ينقلنا التعريف - الاستشهاد بلمحة خاطفة من امكان الجدل العقيم في ماهيةالوعي، الى اجواء فكرية محض انسانية في اصوله، في جذور حقيقته الاولى، ينقلنا بمنطق سام الفنا الوقوع عليه في الفكر او الطرح الايزوتيريكي، وميزته الامم انه يربط الظاهر بالباطن في منطق متجانس.

كثيرة الاسئلة التي تطرق باب الفكر، مما ما هو حول الوجود، حول هدف الحياة على الارض، وحول مصير الانسان في الكون اللامتناهي! والوعي الانساني أحد تلك الاسئلة، وفي الوقت عينه الاجابة ضمنا ايضا. في هذا الصدد يقول الايزوتيريك ان هدف وجود الانسان على الارض هو التطور في الوعي، والحقيقة هدد تلميحا بمجرد العودة الى بدايات التاريخ المكتوب - او ابعد اذا شئنا - حيث لم يفعل الانسان سوى السعي الى التطور سواء كان ذلك من اجل تحسين سبل العيش على الارض، او حماية وجوده عليها، او حتى ادراك قانون الحياة من حوله، واعيا او لاواعيا سعيه هذا. وهكذا نرى في وضوح ان مستوى الوعي الانساني اليوم على الصعيد العام يفوق مستوى الوعي منذ سنة عام او مئتي عام. ونرى في وضوح كذلك كيف يفوق الجيل الجديد سابقه قطنة وادراكا حتى قبل ان يبدأ التعلم والتعود على محيطه الجديد في الحياة العامة.

من هذا المنطلق، يعالج الكتاب مسألة الوعي على نطاق واسع وبعيد عن المفهوم التقليدي "ان كل خلية وكل ذرة تكوّن الانسان هي مركز للوعي" و"الوعي تجسيد النور، والظلمة تعسيد الفراغ في عرف المادة . والارض هي الموشور الذي عبره يخترق النور الفراغ، كي يتحول بدوره (اي الفراغ) الى نور خالص! اي ان الظلمة تجربة أرضية في عالم الوهم، في انتظار ان تعي الوحدة - كينونة النور - نفسها عبر مسار الازدواجية. لذا فان اساس الوعي هو المقدرة على فهم الازدواجية كطريق نحو الوحدة، نحو الصح، نحو المحيط. فالانسان في تكوينه يخضع لقانون الوحدة، وفي وعيه يخضع لقانون الازدواجية".

يعيدنا هذا الطرح الى الجذور. جذور الانسان، فهو مكون من مادة ولامادة في سبعة اجهزة او ابعاد وعي ادناها واكثرها كثافة الجسد، واعلاها واكثرها شفافية الروح. اما جسار الفكر، فهو البعد الرابع والرابط بين النفس البشرية التي تمثل الابعاد الدنيا التي تخضع لقانون الازدواجية، والذات الانسانية التي تمثل الابعاد العليا التي تخضع لقانون الوحدة.

من هنا نستنتج ان الوعي لا يقتصر على بُعد دون الاخر، بل هو الكيان الانساني برمته. فالذبذبة تمثل الوعي، وهي اصل الوجود، وما الابعاد التي تمثل اجهزة الوعي الدنيا سوى نتيجة تفاعلها (الذبذبة) في تدرجها من مستوى الوحدة الى مستوى الازدواجية.

والجدير ذكره "ان في اساس طروحات الايزوتيريك ان الذبذبة هي روح الذرة، اي محركة الكتروناتها وبروتوناتها ونيوتروناتها. والبحث في الوعي يعني البحث في الذبذبة من اجل ادراك كنهها وبالتالي تطوير الذرة. لان الذبذبة هي الاصل. اصل كل شيء وحقيقة كل شيء، والذرة في منتهى امرها ليست سوى رداء الذبذبة في عالم المادة (...)".

لعل اهم ما في علوم الايزوتيريك انها تعالج المادة بمنطق البحث العلمي المادي، وتعالج اللامادة بالمنطق السامي للامور، ثم تربط بينهما انطلاقا من مبدأ الحقيقة والانعكاس، حيث اللامادة هي الحقيقة، والمادة انعكاسها في البعد الارضي.

معلوم ان ما يميز انساناً عن الاخر هو مستوى وعيه، ومستوى الوعي لا تحدده القيمة العلمية او الثقافية للفرد، فالمعلومات، ان لم تخضع للتطبيق العملي الحياتي، تبقى نظريات بعيدة كل البعد عن الوعي الذي لا يكتسب الا بالاختبار، فالطبيب او المهندس او المحامي او صاحب اي اختصاص ان لم يمارسه، ان لم يوسع مداركه في تطبيق ما تعلمه في الحياة العملية، تبقى معرفته نظرية. وصاحب الاختصاص او اي مجنة ان لم ينفتح حياتيا على الشؤون الاخرى يبقى وعيه محصورا في نطاق واحد محدود، والانفتاح الحياتي ان لم يتجدد في البحث والتنوع يتعرض للجمود، وبالتالي تتوقف مسيرة التطور لدى المرء. فالوعي لا يتفعل الا بالانفتاح على الخبرات الحياتية بما يكن المستوى الثقافي والعلمي للانسان، واكتساب الوعي وتطويره لا يتحقق الا في تحقيق التفاعل بين الانسان ومحيطه.

ان كوكب الارض الذي يسبح في فضاء نظامنا الشمسي يمثل مدرسة الانسان الذي تجسّد عليها كي يتطور في وعيه. فوجود الانسان ليس رهن العبثية والمصادفة والفوضى، ولو كان الامر كذلك لفقد الوجود برمته معناه وتداعى مفهوم الخالق المطلق العادل! فالوعي ايضا هو الايمان العلمي والعملاني الواعي لحكمة النظام الكوني وعدله ودقته. ففهم وجود الانسان يكمن في مقدرة الذهن على الربط بين المنظور واللامنظور. يشرح الكتاب في هذا الصدد "ان نظام الولوج الى الباطن يكشف الرابط الدقيق بين وعي الظاهر ووعي الباطن. وهذا الرابط يشكل الحلقة المفقودة بين المادة واللامادة في الكائن البشري، وهنا بالتحديد يرتسم الحد الفاصل لتفتيح الطاقات اللاواعية في الانسان. فبقدر ما يقوى الرابط بين مذين "الوعيين" تتفتح في الانسان الطاقات الكامنة التي ما وجدت الا لمساعدته على الارتقاء".

موضوعات الوعي عديدة في الكتاب، اما اهمها فهي الوصف الدقيق لعمل الوعي في الانسان، مصدر الوعي ومركزه، مستلزماته، وكيف يتناسى ويتطور ويحقق ذاته. ويهتم الكتاب ايضا دور الفكر ودور المشاعر في رفع مستوى الوعي الفردي. ثم بضعة اسئلة عملية لاختبار مستوى الوعي الذاتي وتقويمه.

ويبقى الوعي سؤالا يطرح نفسه دائما على باطن الانسان: ما مدى تطبيقك العملي للوعي؟ انه القسطاس الذي به يُعرف مستوى الوعي لدى كل شخص.

هكذا رسم الكاتب من خلال توغله في ابعاد الوعي اجزاء من الفيسفساء الكونية الخاصة بالانسان، رسمها في شفافية ودقة تعابير متميزة بحيث يجد القارئ نفسه امام بحث انساني فريد لا يبدو ان احدا خاض من قبل. فهل ان ما قدمه يمثل بحق علم الوعي في الايزوتيريك؟!

"تعرّف الى وعيك" للدكتور جورف مجدلاني (ج ب م) أفاق جديدة في فهم كل ما يتعلق بالوعي وتطوير الوعي، ورحلة انسانية - كونية هي زاد للفكر واشباع للكثير من تساؤلاته، والكتاب من منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، في ١٢٧ صفحة من القطع الوسط.

هيفاء العرب